الحدود

7 أكتوبر 2017

الجانبان من الحد

جغرافيا وحسب؛ هو في الوقت ذاته خيال قانوني، وجهاز عسكري، وآلة اقتصادية، وجرح نفسي، وفئة هوياتية، وتجربة جسدية — كلها في آن واحد. ذلك الخط، تدرك: الحد ليس خطا، بل هو تجربة. يترك أثره في الجسد، وينتقل عبر الأجيال، ويغير مسار الماء، ويعيد كتابة ذاكرة الأرض. الحد ليس حين نقول حدا، أول ما يتبادر إلى الذهن هو خط — خط رفيع على الخريطة. لكن لحظة أن تحاول عبور

يعاق البعض أو يجرم — المهاجرون والفقراء والأجساد المعرضة للتمييز العنصري. السؤال دائما هو ذاته: من يتحرك؟ وفي أي ظروف؟ وبإذن من؟ الحركة على امتداد الحدود غير موزعة بالتساوي. يتحرك البعض بحرية — امتياز التأشيرة، وتنقل رأس المال.

> أحدهم عن معنى النشأة في مناطق الحدود: "جدي نفي. أبي صار لاجئا. نشأت بخوف لا أستطيع تسميته. الحدود عبرت الأجساد، وعبرت الأجيال."" "يحكي

من يكون كل شخص. "مواطن الحدود" كائن من نوع مختلف عن الذات غير المحدودة. الحدود تنتج فئات — اللاجئ، والمهاجر، والمواطن، والآخر. الحد. من رسم هذا الحد؟ هل هو حقيقي أم مفروض؟ ما الذي يتيحه هذا الحد، وما الذي يجعله مستحيلا؟ الحدود لا تقيد الحركة وحسب؛ إنها تحدد لفهم سياسات الحد، يلزم أولا السؤال عما يفعله

نتحدث في الحقيقة عن أناس سرقت مشتركاتهم — أناس مهجرون من جذورهم. استرداد ذاكرة ما كان مشتركا قبل الحدود يزعزع طبيعانية الحدود. عاش الناس على أراض مشتركة. في العقود والقرون الخمسمائة الأخيرة فقط جرى تأميم هذه الأراضي وتسييجها وتحديدها. حين نقول "مهاجر"، تأكيد الحد ذاته. "عبرت الحد" أو "بقيت عالقا عند الحد" — كلاهما يرسخ واقع الحد. لكن ماذا لو تحدثنا بدلا من ذلك عن المشتركات؟ آلاف السنين كل رواية لعبور الحد تعيد

صلاة الاستسقاء والعدالة

يأخذنا إلى مكان مغاير تماما: قرى الأناضول التي يعانيها الجفاف. ما يجده وهو يبحث في تقليد صلاة الاستسقاء هو أبعد كثيرا من طقس مناخي. من يتحدث عن حدود الصحافة

> 'لعل الله يقبل دعاءنا بحق هذه الحيوانات الصغيرة.' هذه عدالة لا بوصفها مفهوما بل بوصفها ممارسة معيشة. تقديس التبادل في الاعتماد المتبادل." "يجمع الطعام ويطهى معا ويحمل إلى بيت أفقر أسرة في القرية. يقول الشيخ المسن:

لأن ما يرويه يتجاوز تلك الحدود. يجمع معلومات واضحة عن الجدران والسدود والنزاعات — لكنه يحمل دوما التباسا حول ما يفعل بتلك المعرفة. مكان ما بين الصحافة الاحترافية والنشاط، وبين جمع المعلومات الواضحة والعيش مع الغموض. لا يستطيع البقاء داخل الحدود المهنية لعالم الإعلام؛ الحد بين المرئي وغير المرئي، والعلمي والروحي، والفردي والجماعي. من يبحث فيها اكتشف هذا الطقس وهو يمارس صحافة المناخ. يجد نفسه في صلاة الاستسقاء ممارسة حدودية في حقيقتها — تقف عند

حقل إمكانية. يجب مقاومة الدافع لحل الأمور بالسرعة المفرطة. التحرك مع الغموض — لكن بإشراك الآخرين، ومنع الغموض من أن يتحول إلى شلل. لكن خارج أوقات الأزمة يغشى الغموض كل شيء ويتنامى الإحساس بالتشتت. كيف يبقى المرء مع ذلك الغموض؟ غياب الحل، ما لم يكن شللا، هو ربما في لحظات الأزمة يكون الوضوح حاضرا — جدار، وسد، ونزاع؛ مرئي وقابل للتوثيق. الأزمة تولد مشاريع.

المتبقيات والشهادة

لا يعدون، ومن يستثنون من الرواية الرسمية. المتبقيات، بعيدا عن كونها مفهوما اقتصاديا، تمثل الناس والقصص والتجارب التي جعلت غير مرئية. ناشط في تنشيط الفيديو يشرح أن التوثيق ليس عملية تسجيل بسيطة. أثناء العمل مع المهاجرين، بدأ الاهتمام بالمتبقيات — من يبقى خلفهم، ومن

> "عند نقطة معينة، لم نعد نوثق الحدود — الحدود عبرتنا. أصبحت الهوة بين الصورة المصورة والتجربة المعيشة هي المادة الفعلية. أصبحنا ما نعمل عليه."

— بين هذا الجانب وذاك الجانب من الكاميرا. من يتكلم؟ من يستمع؟ لصالح من؟ هذه الأسئلة تشكل قوة الشهادة ومسؤوليتها الأخلاقية في آن واحد. التوثيق يشارك في فعل صنع العالم. يجعل الفاعلين الممحوين مرئيين. لكن التوثيق ذاته يرسم حدا هو أيضا

بالتأليف. أن تكون جامعا ليس امتلاكا بل نقلا. وهذا النقل هو نفسه خرق للحد: يختبر حد ما يعد ذا قيمة، وحد ما يعد خبرا، وحد من يملك حق الكلام. اقتصادي. هي كل تجربة وكل قصة وكل إنسان استثني من الرواية الرسمية. فعل الجمع — الأرشفة وإعادة التوزيع — ممارسة تجري دون أي ادعاء مفهوم "المتبقيات" هنا أبعد كثيرا من مصطلح

الخرائط المقلوبة

في الأعلى وأوروبا في الأسفل. الجغرافيا ذاتها — استجابة مختلفة من الجهاز العصبي. هذا القلب البصري يكشف مدى اصطناعية انقساماتنا المطبعة. فنانة تتحدث عن أثر قلب خريطة العالم رأسا على عقب. أفريقيا

> والبداية. ريش أسود عند الخروج — الكثافة والنهاية. مضى الزوار عبر الريش باتجاه النجوم. المنظور الكوني كان يحول الحدود إلى شيء عبثي."
> "ريش أبيض عند المدخل — النعومة والرعاية

الوصول إليها بطرق أخرى. الخرائط المقلوبة، وتجهيزات الريش، وتسجيلات الأنفاس — هذه ليست تفضيلات جمالية بل تدخلات إبستيمولوجية. الممارسة الفنية ليست رسما توضيحيا للمفاهيم. هي وسيلة إنتاج معرفة لا يمكن

الأسفل. الكوكب ذاته لكن حين يتغير المنظور يدخل الجهاز العصبي في صدمة. تراتبيتنا المطبعة ليست سوى خيار ثقافي مرمز في إسقاط ميركاتور. للحد. في عملها "ثمار غريبة" — الاسم المقتبس من أغنية بيلي هوليداي — تقلب العالم رأسا على عقب. نصف الكرة الجنوبي في الأعلى، والشمال في لم يكن الحد يوما مفهوما مجردا. نشأت في إزمير لكنها لم تكن "من هناك" تماما قط. تجربة التهجير الموروثة في الأسرة تذكر باستمرار بالبعد الجسدي بالنسبة لفنانة قادمة من أسرة لاجئة،

حد أساليب تفكير مختلفة: المشي، والتنفس، والجمع والشهادة، والقلب. كلها تطرح السؤال ذاته: حين تتزحزح الحدود، كيف نعرف بصورة مختلفة؟ العمل عند

ما يسمى سد الأمن

غابات الشمال يتتبع آثار المحاجر لرصد توسع حدود المدينة. كلما استخرج حجر أكثر، تراجع الحد أبعد. جميعنا شركاء في تحريك خط الاستخراج هذا. شخص يمشي على خط دفاع

> بني أحد عشر سدا — سدود بلا أي وظيفة لإدارة المياه. عسكرية بالكامل. مفهوم 'سد الأمن' غير موجود في أدبيات العالم. اخترعناه بالصدفة."
> "في منطقة حدود شرناق-هكاري

والباحثين — حول مسائل الماء. دور الميسر مهم: ليس الكون خبيرا، بل خلق مساحة لأناس مختلفين كي يفكروا معا في مشكلات المياه المشتركة. الحدود تعيد تشكيل الأنظمة البيئية. مشروع مختبر الماء يتنقل عبر مناطق مختلفة ليجمع الفاعلين المحليين — المزارعين والمهندسين والناشطين كائن في تلك المنطقة. الحدود الإيكولوجية تسبق الحدود السياسية وتهيكلها. لا يمكن فصل الماء والجيولوجيا والإيكولوجيا عن الحدود السياسية — الماء لا يعرف حدودا لكن الحدود تعرف الماء. بينما تغير السدود مسار الماء، تعيد تعريف ظروف حياة كل

أداة رصد. صور المشاركين تصبح وثيقة جماعية للتحول الحضري. المشي التشاركي في مواجهة التخطيط التخصصي — ديمقراطية إنتاج المعرفة. يصبح مسار المشي

مجتمعات تنظم نفسها أصلا على التعبير عن تحليلاتها الخاصة. يتزحزح إنتاج المعرفة من الاستخراجية الأكاديمية إلى ممارسة محورها الحركة. بوعي من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الجنوب — ليس بحثا استخراجيا يفرض فئات الشمال. لا يدرس الباحثون المجتمعات؛ يساعدون من يربح، ومن يعاني؟ الخرائط ذاتها تولد حوارا — يدخل الناشطون البيانات، ويعيدون إطار نضالاتهم بوصفها جزءا من نمط عالمي. هذا العمل موجه يتحدث عن شبكة عالمية: الهند وأمريكا اللاتينية وأفريقيا والبلقان. أي المجتمعات تتحمل العبء الإيكولوجي للنمو الاقتصادي؟ لمن تنتمي الموارد؟ لكن الماء ليس مشكلة إسطنبول وحدها. صوت آخر منخرط في رسم خرائط العدالة البيئية

التموضع بوصفه غبار النجوم

روايته بقصة الجراد. في الموروث الشاماني، قفزة الجراد تشير إلى تغيير حياتي — خيرا أو شرا، غير محدد. يبقى أربع سنوات. القفزة لا تزال تحركه. من انتقل إلى ماردين يبدأ

> تموضع نفسك؟' خرجت الإجابة الأصدق: 'أموضع نفسي بوصفي غبار نجوم.' ممارستي ترفض التموضع الثابت، وتبقى متشعبة وعند مستوى جوهري."
> "في امتحان الأستاذية طرح عليه: 'كيف

الطفولة، والعمل عبر الصدمة بالتنفس، وتعلم العيش في أماكن غير مألوفة، ورفض الفصل بين الفن والحياة والمعرفة — كلها أجزاء من الحركة ذاتها. يتحدث عن خسائره مع طبيب نفسي. عندها فقط يظهر حق العمل بأصوات الآخرين. الخطر وعدم الارتياح وتجاوز الحد — ضرورة للنمو. الغطس في أصوات أنفاس الناس الذين عاشوا الصدمة. لكن استخدام تسجيلات أنفاس الآخرين في البداية ليس أخلاقيا. الحل: أن يسجل أنفاسه هو أولا بينما

أخلاقي. يبحث في الفرق بين الحداد الجماعي وعيش الحداد — لغات مختلفة وسياقات مختلفة وشعوب مختلفة. حيث تعجز الكلمات، يبدأ جمع هذا التشعب ليس هربا بل موقف

الأرض مباشرة، وشاهدا على التعافي من الصدمة، يشعر بأنه في بيته أكثر من أي وقت. هذا "عدم الارتياح" أكثر أصالة من الانتماء المبني على الأمان. يصف خوف الانفصال عن إسطنبول باستعارة السمكة خارج الماء. لكن في أوغندا وفي رواندا، في مؤخرة حافلة بلا ماصات صدمات، وهو يحس من غادر مدرسة خاصة بعد غيزي ليذهب إلى جامعة ماردين أرتوكلو لتأسيس كلية الفنون الجميلة،

وقلعة مفتوحة للبعض مغلقة على الآخرين. الضغط المفرط بالقلم يفتح ثقبا في الورق — الاستعارة الجسدية لكيف يمكن للانتباه أن يلحق الضرر. يذاع عبر الراديو في الأعلى. يصبح الرسم خريطة: في أي اتجاه يواجه كل نقطة، وما المرئي في كل اتجاه — خطوط الكهرباء، ومقبرة أرمنية قديمة، مكان عن نفسه عبر النظر والانتباه الجسدي. على الحد بين إسكيشهير ويني شهير يرسم سطح صخرة ضخمة ثماني ساعات بينما خطاب أردوغان يصنع خرائط مشفرة لكن لا يكملها أبدا — بينما تعرض الخرائط التقليدية الإحداثيات، تظهر خرائطه كيف يكشف

التوثيق أم الإصلاح؟

ما يسجله. لكن تجاوز التوثيق للمضي نحو إعادة صنع العالم — ما يبدو عليه ذلك لم يتضح بعد. يبقى السؤال مفتوحا، وربما ينبغي أن يبقى كذلك. ذاتيا جماعيا يستلزم قفزة تطورية. التوثيق ليس سلبيا — يجعل الفاعلين الممحوين مرئيين، ويشارك في فعل صنع العالم، ويحمل خطر تحويل هذا هو أكثر أسئلة الجلسة إثارة: هل نوثق فحسب، أم أن الإصلاح ممكن؟ ربما الإصلاح الذاتي وحده ممكن — لكن إصلاحا

> "الحيوانات لا تعرف حدودا — الماء يجري تحت الجدران. إن أعدنا هيكلة الإيكولوجيا بالحدود، نحول كل شيء."

الحد. المسألة الحقيقية هي تذكر ما كان مشتركا قبل الحد — الماء والأرض والممارسات. هذا العمل في الذاكرة التاريخية يزعزع طبيعانية الحدود. النقاش المفتوح، يقترح صوت وقف الاحتفاء بعبور الحدود والشروع بدلا من ذلك في تساؤل الحد ذاته. روايات عبور الحد تعيد إضفاء الشرعية على في

الحد. السلطة تريد منك أن تبقى "قابلا للقراءة"، مفهوما داخل الفئات القائمة. تصبح الأجساد علامات حدود؛ رفض الامتثال هو فعل رفض التصنيف. عن النوع الاجتماعي بوصفه حدا. نموذج أزال شعر ساقيها يتلقى تهديدات باغتصابه. حين تتجاوز حدودا بعينها، تصطدم بالسلطة التي تحمي ذلك صوت آخر يتحدث

مهم. يرسم الباحث حدودا تحليلية للفهم — لكنه لا يخلط بين هذه الحدود التحليلية والحدود المعيشة. التمييز بين هذه وتلك ممارسة مستمرة. ذاته الذي تقيد فيه. بعض الحدود تحمينا، وبعضها يمكننا من التفكير، وبعضها يقيد بصورة غير عادلة. الفارق بين الحدود المفروضة والحدود المختارة سؤال مشترك: كيف نفهم الحدود دون تطبيعها؟ دون رومانسية عبور الحد، ودون مثالية اللاحدودية، مع الإقرار بواقع أن الحدود تحمي في الوقت الأصوات التي اجتمعت في هذه الجلسة، رغم قدومها من تخصصات مختلفة، تتقارب نحو

> "كنت أشعر بالوحدة. هذه الجلسة تكسر تلك الوحدة وتظهر أن أعمالا متوازية تجري في تخصصات مختلفة. ليس علينا أن نفعل هذا وحدنا."

آخر يسأل كيف تشكل الحدود المستبطنة ما نعتبره ممكنا. كل صوت يقدم ممارسته الخاصة بوصفها اقتراحا — لا إجابة بل دعوة للتفكير المشترك. بصورة متشتتة وما جمعه الآخرون بصور مختلفة، وتحويل هذه المجموعات معا. آخر يريد فتح حوار حول كيف تعمل سلطة الدولة عبر الماء والسدود. صوت يتحدث عن الرغبة في التعاون: حماس الجمع بين ما جمع

مشابهة في حقول تبدو بعيدة. لا تخصص واحد كاف وحده. فهم الحدود يستلزم أساليب جسدية وفنية وناشطة وأكاديمية وانفعالية في الوقت ذاته. لا نحو حل الأسئلة بل نحو تعميقها، ولا نحو كتابة الوصفات بل نحو البقاء مع الفضول. يعبر المشاركون عن الارتياح في إيجاد آخرين يطرحون أسئلة طاقة جلسة الحدود هي طاقة الغموض المنتج — موجهة

تشهد، وأن تستمر في ممارسة التضامن عبر الحدود — مع الانتباه لكيف يمكن أن تعيد ممارساتنا التوثيقية كتابة الحدود ذاتها التي نسعى إلى فهمها. الالتزام الأخلاقي الكامن خلف العمل واضح: أن تجعل مرئيا، وأن